

## كلام تحت مستوى الوصف

### بقلم الصحفي حيران التويني (النهار ١٠/٥/٢٠٠٠)

..لم يكن ينقصنا إلا المقدح وأبو محجن وأبو العينين وسائر الأبوات! لم يكن ينقصنا إلا تصريحاتهم من داخل المخيمات والتظاهرات التي نظموها ومطالبتهم بفتح الحدود اللبنانية أمام العمليات الفلسطينية. معقول أن نسمع كلاما كهذا بعد كل ما حصل في لبنان والثلث الذي دفعناه طوال الحرب من أجل القضية الفلسطينية وبسببها، وفي الجنوب بالذات قبل سواه وأكثر؟ فتح الحدود ومعاودة العمليات من الجنوب لن يخدمنا غير إسرائيل التي أكثر ما يخدمها بلبلة الأوضاع وضرب الفئات اللبنانية بعضها ببعض. ولا أظن أحدا من اللبنانيين يقبل بأن يُستعمل لبنان نقطة انطلاق لشن عمليات على إسرائيل، مع العلم أننا ندين كل الإدانة ما ترتكبه إسرائيل من إجرام ضد الشعب الفلسطيني البطل في الأراضي المحتلة. إن لبنان لا يستطيع أن يتحمل أي خضة اقليمية جديدة وخصوصا في الجنوب. فما حصل في فلسطين كان منتظرا، ومعروف إن ما يراود إسرائيل هو نفس برميل المنطقة بدءا من لبنان لضرب الاستقرار وإشعال الحرائق وتشويه سمعة كل تجربة ناجحة للتعايش بين الطوائف والاتنيات. لذلك نقول ان الكلام الذي نسمعه من هؤلاء المطلوبين للعدالة ما هو إلا بضاعة كاسدة للمزايدة وخدمة (مجانية؟! لإسرائيل.

أما بعد، فإذا أرادوا فعلا أن يشاركوا في القتال فليذهبوا إلى الدول العربية الأخرى التي لها حدود مشتركة مع إسرائيل، بل تستضيف سفارات إسرائيلية في عواصمها. فليذهبوا مثلاً إلى الأردن وليقوموا بعمليات عسكرية من الحدود الأردنية أو حتى ضد سفارة إسرائيل في عمان، ولكن نحن نعرف، وهم يعرفون، انه مستحيل عليهم ان يتكلموا بالحرية نفسها التي يتكلمون بها في لبنان من عمان أو من أي دولة عربية أخرى. أو ليتفضل "الأبوات" الأبطال وليتوجهوا إلى مصر وليشتموا عمليات من الحدود المصرية أو ضد سفارة إسرائيل في القاهرة...

ولكن ربما يشكل هذا العمل خطرا على الاستقرار المصري الداخلي نظرا للتيارات الأصولية والمعارضة الموجودة في المجتمع المصري. ولكن إذا حصل هذا فليفضل الرئيس المصري وليطالب سوريا بإرسال "قوات ردع" إلى مصر لتحافظ على التوازن بين الطوائف والتيارات الحزبية والسياسية داخل المجتمع المصري ضمنا للاستقرار!!! على سيرة الاستقرار، كنا نتمنى ان لا يتدخل الرئيس مبارك في الشأن اللبناني الداخلي وان لا ينظر، فهو يعرف إننا نعرف ان الحقيقة مختلفة تماما عما يدعيه. فوجود القوات الغربية هو الذي يهدد الاستقرار والتوازن، وليس العكس، وان الشعب اللبناني الراشد - لا القاصر - ليس محتاجا إلى أحد، وأن وحدتنا حقيقية وليست مصطنعة لكي تضمنها جيوش مستعارة. قليل من الاحترام لشعب لبنان ولدولة لبنان وللسيادة اللبنانية. لدينا دولة وجيش وشعب واع ومثقف وعريق في الحريات والديموقراطية وتاريخه هو تاريخ المعرفة منذ فجرها، ووجودنا كشعب وأرض وكيان ونظام، هو حقيقة ثابتة أثبت من بعض الأنظمة الكرتونية القائمة في العالم العربي والتي لا "تنعم" إلا بقوة البطش والقمع والإرهاب والتوتاليتارية على حساب شعوبها. فبلاش تنظير يا سيادة الرئيس مبارك، اسمح لنا هذه المرة، وإذا كنت مصراً على أن تجعل القضية مشورة وإبداء رأي في الآخر، فتعال نبدي رأينا في النظام المصري والديموقراطية المصرية والانتخابات في مصر ووضع الأقباط ووضع الأحزاب وحرية الرأي والشفافية، والكلام ذاته نقوله لوزير الإعلام السوري إضافة إلى وزير الدفاع السوري الذي كان من الأفضل ان يهتم

بشؤونه الداخلية وكيفية استرجاع الأرض السورية المغتصبة بدل التنطح للرد على كلام البطريك اللبناني مار نصر الله بطرس صفير!

ويا ليت وزير الإعلام انتهج نهج الرئيس السوري الدكتور بشار الأسد الذي احترم الأصول واعتبر أن قضية وجود الجيش السوري في لبنان قضية تبحث بين الدولتين، وخصوصاً أن الحكومة اللبنانية كانت قد أدلت بدلوها حول بيان البطريك - وهذا شأن لبناني - فكان من غير اللائق أن يتدخل الوزير السوري في الشؤون اللبنانية ومن لبنان بالذات، وهو يعرف أن موقف البطريك يمثل آراء فئة كبيرة من اللبنانيين قد تخاف أن تنطق نظراً للتجربة التي عاشها الشعب اللبناني في ظل الوجود السوري و"الأداء الديموقراطي" في ظل هذا الوجود! فكان من الأفضل أن يتكلم وزير الإعلام عن حرية الرأي في سوريا مثلاً وعن كيفية تطبيق التكامل الإعلامي في ظل سياسة إعلامية موجهة تابعة للدولة في سوريا وسياسة إعلامية تابعة من القطاع الخاص في لبنان. ليته أجابنا، مثلاً، عن بيان المثقفين السوريين وموقفهم الذي لم ينشر في سوريا وفي الإعلام السوري - وهو وزير مسؤول عن هذا الإعلام - حيث لم يجدوا إلا لبنان كفسحة للحرية ليعربوا كمثقفين سوريين عرب عن رأيهم. أما ما قاله عن "الفناء" و"الإفناء" فعييب وألف عيب. انه كلام يسقط تحت مستوى الوصف. الشعب اللبناني أيها الوزير شعب بطل تحمل ما تحمّله طوال الحرب وقبلها، صمد وحده. ناضل وحده. وانتصر وحده في وجه كل الذين كانوا يستهدفونه أرضاً وشعباً. تحمل طوال العصور، تحمل كل أنواع الاحتلال والانتداب والابتزاز والإرهاب الخارجي... فهل قرأت التاريخ أيها الوزير؟ هل كانت سوريا وجيشها موجودين يوم تخلصنا من المحتلين ومن الأوصياء؟! ..ليتك زرت نهر الكلب ايها الوزير الفصيح قبل الإلقاء بتصريحك. قلناها ونعود لنقولها: كفى تدخلا في الشؤون اللبنانية. ان ما قاله البطريك مشكوراً هو موقف موجه إلى الدولة، إلى الحكومة الجديدة، وسيبحث ضمن الأطر والأصول الديموقراطية، والوضع اليوم دقيق جداً ولا يتحمل المزيد من المزايدات ومن النعر والتحريض. فيا معالي الوزير، أنت تعرف ونحن نعرف والعالم يعرف انه بالنسبة لبعض اللبنانيين كانت سوريا طرفاً في هذه الحرب لا لتدفع عن لبنانيين خطر الفناء بل لتدافع عن مصالحها واستراتيجيتها.

وأنت تعرف ونحن نعرف، وقالها من قبل وليد جنبلاط يوم حل الميليشيات وتسليم الأسلحة، يومها رد الوزير جنبلاط كل السلاح لا إلى الجيش اللبناني بل إلى الجيش السوري قائلاً أن هذا السلاح أعطاه إياه السوريون ليحارب به ولذلك يرده لمن أعطاه إياه، وأضاف: إذا أرادوا أن نقوم بحرب جديدة فسيعودون ويزودوننا بالسلاح! ليتك استمعت إلى كلام رئيسك أيها الوزير - وهو كلام رجل دولة مسؤول - والى كلام البطريك إغناطيوس الرابع هزيم الذي هو بمثابة درس في الحرية والأداء والآداب، درس للعالم العربي ومن لبنان بالذات أرض الحرية والمحبة والتعايش. مشكور البطريك هزيم، مشكور هذا العظيم الآتي من بلاد الشام، من بلاد معالي الوزير بالذات، والمتكلم بلغة العقل والقلب، بلغة اللبنانيين، مشكور لبنانياً لأنه يعرف حقيقة الوضع اللبناني ويعرف مدى أهمية حرية الرأي والمصارحة. مشكور عربياً لأنه يمثل ما نطمح لأن يصبح الأداء السياسي العربي إذا أردنا أن تكون هناك نهضة عربية جديدة. ومشكور شعبياً لأنه يعرف أن الحق يعني الوقوف إلى جانب أصحاب الحق، عنيت الشعب!

فبربكم ضعوا حداً لهذا الفولكلور وكفوا عن اجتهاداتكم في كتابة تاريخ الحرب اللبنانية. كبير بعد يا معالي الوزير، وعلى كل حال، التاريخ لا يمكن أن يكتبه طرف ولا يكتبه إلا الأحرار، منْ ينعمون بحرية الفكر والتأريخ!